مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٨/٥/١٧

بقلم السادات

ان مسئولية الحاكم المخلص لوطنه وأمته ألا يسكت اذا شهد أى مراكز جديدة للقوى تخرج من أجنتها وتبدأ فى النمو .. وهذا مافعله انور السادات عندما خرج يطالب بتصحيح التصحيح

الطريق المستقيم

من باب الحرص على القيم والاخلاق يقال أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لم يكن مسئولا عن الانحراف الذى تعرضت له مسيرة ثورة يوليو وأن الذين قاموا بتحريف مسار هذه الثورة هم من اصطلحنا على تسميتهم باسم « مراكز القوى » .

ومن مضيعة الوقت الا نعترف لعبد الناصر بمكانته فى تاريخ مصر وتاريخ امته العربية .. لكنه من العبث السياسى أن نعطى لعبد الناصر وحده فضل انتصار ٥٦ السياسى .. ونتهم مراكز القوى » وحدها بهزيمة ٦٧ العسكرية .. كما أنه من سوء التقييم أن نضيف الى حساب عبد الناصر وحده فضل بناء السد العالى وافتتاح عشرات المصانع واشعال القومية العربية . ونضع فى قائمة حساب مراكز القوى وحدها جرائم هدم الانسان وافتتاح عشرات المعتقلات واصدار قرارات الحراسات وانتهاك القضاء

ان السؤال الطبيعى هو : اذا كان عبد الناصر هو صاحب الفضل وحده عن ايجابيات ثورة يوليو ، وان مراكز القوى هى المسئولة عن سلبيات تلك الثورة ، فمن هو المسئول اذن عن ظهور تلك المراكز لتسرق انتصارات الشعب وانتصارات ثورته وعرق كفاحه من أجل حريته ؟ ..

ولقد قامت ثورة يوليو قبل ٢٦ عاما من أجل ٦ اهداف محددة احدها « اقامة حياة ديمقراطية سليمة » ..

لكن هذه الثورة ــ مهما كان النجاح الذى حققه فى بعض المجالات ــ الا أنها حققت فشلا ذريعا فى تحقيق هذا الهدف .. وقيل تبريرا لذلك أنه كانت هناك أسباب .. منعت تلك الثورة من الوصول الى تلك الحياة الديمقراطية السليمة .. بعضها أسباب خارجية وهو انشغال الثورة بالمعركة التى خاضتها ضد الاستعمار ليس فى مصر وحدها وانما فى كل المنطقة العربية كلها بل وفى افريقيا ..

وبعضها لاسباب داخلية وهو طبيعة المعركة التى خاضتها تلك الثورة ضد الاستغلال الطبقى والذى كان يضع ثروات الشعب فى يد أقلية لا تتجاوز نصفا فى المائة .

وأيا كان فلقد جاء تاريخ ١٥ مايو ١٩٧١ مع الرئيس أنور السادات تاريخا فاصلا فى صورة الحكم المصرى ..

فقبل هذا التاريخ بأشهر قليلة كان عبد الناصر قد رحل الى رحاب ربه ..

وبعد هذا التاريخ بساعات قليلة كانت مراكز القوى التى ورثها أنور السادات بين ما ورثه قد رحلت الى كهوف النسيان وارتفعت بثقلها الرهيب عن صدر مصر وعن أنفاسها ..

●

وطويت صفحة من تاريخ ثورة يوليو ..وبدأت صفحة ثورة مايو .. صفحة استرد فيها الانسان ــ فعلا لا قولا ــ الامان التام على نفسه وعلى ماله وعلى أهله وعلى كرامته وعلى عزته..

ولم تكن ثورة مايو غريبة على ثورة يوليو .. فلقد كان أنور السادات هو أحد الوجوه الرئيسية فى ثورة يوليو بل لعله كان الوجه الوحيد الذى يعرفه الشعب فى ذلك الوقت عام ١٩٥٢ من كل قادة الثورة لما كان له من تاريخ نضالى دخل بسببه السجون قبل أن يعود ليطرق صوته آذان جماهير مصر صباح الثالث والعشرين من يوليو ٥٢ معلنا قيام الثورة التى كانت تحتبس امنية فى داخل كل نفس ..

ومن الغريب أنه للشعبية أنور السادات ــ قبل الثورة ــ فانه أصبح موضع حقد من زملائه بعد الثورة .. وأمام صراع الثوار عندما جلسوا فوق كراسى الحكم ودان لهم السلطان وامكانية اختيار مواقع السلطة والمناصب ، انسحب أنور السادات الى ذاته الفلاحة الاصيلة المرتوية بقيم القرية يراقب فى صبر وزهد ..

هكذا فان أنور السادات لم يكن غريبا على ثورة يوليو .. كما أن الثورة التى بدأها فى مايو لم تعلن انفصالها عن جذور ثورة يوليو ، ولكنها أعلنت انفصالها كلية عن الاسلوب الذى اتبعته بكل ما فيه من مراكز قوى ومن قتل لحرية الانسان ، ومن معتقلات وحراسات وشعارات تسد أمام العقل طريقه حتى لمجرد محاولة التفكير .

وكان أنور السادات أمينا مع نفسه ومع مصر عندما أطلق على تلك الثورة فى مايو ٧١ ثورة التصحيح ..

ولان التصحيح لا يتم الا بمعرفة الخطأ ، فلقد كان أنور السادات نفسه هو أول من كشف الاخطاء والانحرافات التى تردت فيها ثورة ٢٣ يوليو لكنه أضاف الى ذلك مسئوليته عنها باعتباره كان شريكا فى القيادة الثورية رغم أنه ظل فى موقف المراقب الزاهد سنوات

ومن المؤكد أن ما تعلمه أنورالسادات من خلال مراقبته الدقيقة لجريان الاحداث خلال السنوات الطويلة التى مضت من ٥٢ الى ٧١ قد علمته أن مراكز القوى ليست غلطة أصحابها ، ولكنها غلطة من يتركونها تنمو وتشب وتترعرع حتى تتضخم وتصبح لها أنياب وكرابيج ومعتقلات تخضع النظام كله فيها .

ومسئولية أى حاكم مخلص ألا يسكت اذا شهد مراكز جديدة تخرج من أجنتها

وتبدأ فى النمو .. ولعل هذا ما فعله أنور السادات عندما خرج يوم الاحد الماضى — فى يوم الاحتفال بذكرى ثورة التصحيح — ينبه ويطالببتصحيح التصحيح ..

لقد كانت ثورة التصحيح الاولى فى مايو ٧١ من اجل الخيار بين حكم مراكز القوى التنفيذية وبين حكم دولة المؤسسات .. وكانت عقدة هذه المراكز انها اعتبرت السلطة بداية ونهاية .. ومن ثم كان من الضرورى لاستمرار السلطة فى يدها أن تلجأ الى الارهاب وتقع فى هوة الانحراف ... وتضيع معها ثمار ثورة يوليو .

ولكن المشكلة أنه مع ثورة التصحيح ومع ممارسة الديمقراطية .. ومع ظهور الاحزاب السياسية .. وفى اطار المعارضة الوطنية من اجل البناء ومواجهة تراكمات المشاكل ظهرت مراكز جديدة من بعض الاحزاب وبعض الافكار والاتجاهات والقادمين من انفاق الماضى التى عبرتها الثورة .. وكان من بين هذه المراكز :

● ● مراكز يحاول بعضها تسوية حسابات قديمة له مع ثورة يوليو ولكن خصما من رصيد ثورة مايو .

● ● ومراكز تحاول استرداد أرصدة جمعتها خلال ثورة يوليو .. وفقدتها فى ثورة مايو ..

● ● ومراكز أسلمت ذاتها لحساب الذين تصوروا انفسهم أوصياء جدد على مصر ولم - ولن — يستطيعوا بسبب جذور الايمان وقيمة الانسان داخل الوجدان المصرى أن يجدوا مكانا لهم ..

ورغم اختلاف النوايا والاتجاهات فان هذه المراكز جمعتها وسيلة واحدة هى المعارضة من أجل المعارضة .. ثم لاستمرار هذه المعارضة كان ولا بد أن تتجه الى المغالطات ، ثم اخطر من ذلك الى تعريض الامة كلها لخطر

فقد حاضرها ومستقبلها تحت أمواج الشكوك التى اثارتها ، وفى ظلام اليأس المرير ..

هكذا ببساطة فان ثورة التصحيح اصبحت تواجه بمراكز قوى جديدة ولكن مع الاختلاف بينها وبين المراكز القديمة .

لقد كان هدف المراكز القديمة هو السلطة ، أما هدف هذه المراكز الجديدة فهو التسلط .

كانت غاية المراكز القديمة جسم الانسان تحبسه فى زنزانة او معتقل.. أما هذه المراكز الجديدة فهدفها عقله وآماله واحلامه تحبسها فى غياهب من الريب والوساوس .

وكان أسلوب المراكز القديمة أن يقع الخلاف بين الابن والاب ويصبح كل منهما طرفا ضد الاخر.. وأصبح أسلوب المراكز الجديدة أن يقع الخلاف بين الشعب وقادته ويصبح كل منهما طرفا ضد الاخر .. وتضيع ثمار مايو. كما ضاعت من قبلها ثمار كثيرة ليوليو .. ونسال انفسنا وقتها فى ندم : من المسئول ؟

●

وكان من الممكن أن يسكت أنور السادات وأن يغمض عينيه ، وله فى قائمة الحساب رصيد كبير من الايجابيات لا يجاريه فيه حاكم آخر .. وكان من الممكن أن يلجأ الى المناورات — بعد سلسلة التحذيرات التى أطلقها مرة بعد اخرى — ليضربهبها تلك المراكز .. لكنه كما أعلن بنفسه اختار الطريق المستقيم .. أقصر طريق بين الحاكم والشعب هو الشعب نفسه .. يضعه أمام مسئولياته ويترك له الاختيار .

صلاح منتصر